وللقصص في القرآن حِكمٌ كثيرةٌ عظيمة منها:

١- بيان حكمة الله تعالى فيما تضمنته هذه القصص؛ لقوله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [القمر:٥].

الشرح

قوله -تعالى-: ﴿جَآءَهُم﴾ يعني قريشًا، ﴿مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ أخبار الأمم السابقة، ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ يعني ازدجار عن المعاصي والتكذيب، ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ أي هذا الذي جاءهم حكمة بالغة مؤثرة، ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ فـ (ما) يجوز أن تكون نافية، يعني: لم تغنِ عنهم النذر شيئًا، ويجوز أن تكون استفهامية، يعني: فأي شيء أغنت عنهم النذر؟ والظاهر الثاني، والأول يؤيده قوله -تعالى-: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [هود:١٠١]، لكن الاستفهامية أبلغُ وأقوى، يعني أي: شيء أغنت النذر؟ لم تغنِ عنهم شيئًا، هذه من فوائد القصص وهي بيان حكمة الله -عز وجل-.

***

٢- بيانُ عدلِه -تعالى- بعقوبة المكذبين؛ لقوله -تعالى- عن المكذبين: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [هود:١٠١].

الشـرح

لما ذكر الله -تعالى- وصف الأنبياء، وإهلاك قومهم، قال: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾، والآية تفيد أن هناك معنى آخر، غير معنى بيان العدل، وهو قوله -تعالى-: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمْ﴾ أي: بيان أن آلهة هؤلاء المكذبين لم تغنِ عنهم شيئًا.

***

٣- بيان فضله -تعالى- بمثوبة المؤمنين؛ لقوله -سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ﴾ [القمر:٣٤- ٣٥].

الشـرح

قوله -تعالى-: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ السَّحر يكون آخر الليل، مع أن الله -تعالى- قال: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود:٨١]، وكيف يُجمع بين هذا وبين أن الله أنجاهم بسَحَر؟

الظاهر أن ذلك لما امتدَّ، امتدت العقوبة من السَحَر إلى الصباح، وكان منتهى العقوبة في الصباح، فصار موعد إهلاكهم جميعًا هو الصباح.

ولكن هناك آية يقول الله -تعالى- فيها: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات:٣٥-٣٦]، فهل هذا يعني: أن الإيمان والإسلام شيء واحد؟

الجواب: لا، بل هذا يدل على أن الإيمان شيء، والإسلام شيء آخر؛ لأنه قال: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ولم يقل: «من كان فيها من المسلمين»، ثم قال: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، وذلك أن الذين خرجوا ونجوا هم لوط وأهله إلا امرأته، وامرأته كانت معهم في الدار، وكان ظاهرها أنها مسلمة كما قال الله -تعالى-: ﴿ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم:١٠] أي خانتاهما بالكفر، ولوط لم يعلم عنها، لكنها في وسط الدار مسلمة لم يظهر منها معارضة، ولهذا ليست القرية سوى بيت من المسلمين، والذي نجا وخرج هم المؤمنون؛ لأن المرأة لم تخرج.

***

٤- تسلية النبي ﷺ عما أصابه من المكذبين له؛ لقوله -تعالى-: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [فاطر:٢٥-٢٦].

٥- ترغيب المؤمنين في الإيمان بالثبات عليه والازدياد منه؛ إذ علموا نجاة المؤمنين السابقين، وانتصار من أمروا بالجهاد، لقوله -تعالى-: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٨]، **وقوله:** ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧].

٦- تحذير الكافرين من الاستمرار في كفرهم؛ لقوله -تعالى-: ﴿أَفَلَمْ

يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴾ [محمد:١٠].

٧- إثبات رسالة النبي ﷺ؛ فإن أخبار الأمم السابقة لا يعلمها إلا الله -عز وجل-، لقوله -تعالى-: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود:٤٩]، **وقوله:** ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [إبراهيم:٩].

الشرح

هذه أيضًا من فوائد القصص في القرآن.

رابعًا: تسلية النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-؛ عما أصابه من المكذِّبين له، وذلك أن النبيَّ ﷺ يضيق صدره بما يقولون، وما يكذبونه؛ لأنه يحب -عليه الصلاة والسلام- من جميع الناس أن يؤمنوا، ولكنه يقابل من قومه -وهم أقرب الناس إليه- بالتكذيب، والإهانة، والأذية، ولا شك أنه سوف يتأذى بهذا، ولكن الله -تعالى- يسليه بذكر أخبار الأمم السابقة، يقول الله -عز وجل-: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [فاطر:٢٥]، فقوله: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ يعني: بالآيات البينات.

وقوله: ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾ جمع زبور وهو الكتاب.

وقوله: ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ إما أنه من عطف المرادف على مرادفه،

كقول الشاعر[١]:

..... وَأَلْقَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنًا

ويكون الفائدة من العطف تظهر في قوله: ﴿ٱلْمُنِيرِ﴾، يعني: الكتب التي تُنير للناس طريق الهداية ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [فاطر:٢٦]، ولا شك أن النبي ﷺ سوف يتسلَّى بهذا، ويتصبر، ولهذا تقول الخنساء وهي تتحدث عن مصيبتها في أخيها صخر تقول[٢]:

وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ أُسَلِّي النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأَسِّي

فهي تتأسى بالناس، وتقول: هؤلاء أيضًا أُصيبوا في إخوانهم، وآبائهم، وأبنائهم، وأقاربهم، وقد أشار الله إليه في قوله: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف:٣٩]، وهذا يدل على أن اشتراك الناس في العذاب يخفف عليهم، لكن في يوم القيامة لا ينفع هؤلاء اشتراكهم في العذاب.

خامسًا: ترغيب المؤمنين في الإيمان بالثبات عليه، والازدياد منه، إذ علموا نجاة المؤمنين السابقين، وانتصار من أُمروا بالجهاد، لقول الله -تعالى-: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٨]، ولهذا من قال هذه الكلمة: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧]، وهو في غم وهو مؤمن أن الله ينجيه بها نجاه الله، لقول الله تبارك و-تعالى-: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ

---

(١) البيت لعدي بن زيد، ذكره الجصاص في أحكام القرآن (٣/ ١٤١)، وتمامه:

فَقَدَّمَتِ الأَدِيمَ لِرَاهِشِيهِ وَأَلْقَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنًا

(٢) ديوان الخنساء (ص:٧٢).

فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧-٨٨]، وقال -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧]، فهنا أوجب الله على نفسه أن ينصر المؤمنين.

قد يقول قائل: ما الجمع بين هذه الآية وإخباره أن من الناس من قتل النبيين بغير حق؟

فالجواب: إن النصر نوعان: نصر في الدنيا والآخرة، ونصر في الآخرة دون الدنيا، فيكون هؤلاء الذين قتلوا من الأنبياء والمصلحين يكون نصرهم في الآخرة قطعًا، وفي الدنيا أيضًا، ربما يكون نصرهم بنصر أقوالهم وما دعوا إليه؛ لأن هذا من أعظم النصر، فالآثار التي تبقى بعد الإنسان تعتبر نصرًا؛ ولهذا قال المتنبي[1]:

ذِكْرُ الْفَتَى عُمْرُهُ الثَّانِي وَحَاجَتُهُ ... مَا قَاتَهُ، وَبَقِيَّةُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ

يعني ذكر الفتى عمره الثاني ولو قصر عمره، إذا بقي ذكره فهو عمره، وحاجته ما قاته يعني: قوته فقط يكفي، والباقي زيادة.

وعلى كل حال نقول في الجواب عن هذا الإشكال: أن من النبيين من قُتِلَ إن نصره بالآخرة مؤكد، ونصره في الدنيا يمكن أن يكون بما دعا إليه فيكون نصرًا لقوله وما جاء به، وإن المؤمنين إذا علموا أن الله ينصر من سبق،

---

(١) ديوان المتنبي (ص:٤٩٠).

وأنه يثيبهم، فإنهم سوف ينشطون على ما هم عليه من الإيمان، ويثبتون عليه.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧]، الشاهد في هذا قوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فأوجب الله -عز وجل- على نفسه أن ينصر المؤمنين الذين صدقوا المرسلين، واتبعوا المرسلين، وهؤلاء لا بد أن ينصروا؛ لأن الله تكفل بذلك في قوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله -تعالى-: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ فيه إثبات صفة الانتقام لله -عز وجل- من المجرمين، وهذه الصفة لا تقال على سبيل الإطلاق؛ لأنها لم ترد إلا مقيدةً، ولهذا نقول: إنَّ عَدَّها من الأسماء الحسنى غلط، كما يوجد في بعض الكتب التي تَعدُّ أسماءَ الله الحسنى، يقولون: المنتقم، وليس كذلك؛ لأن المنتقم لم يرد من أسماء الله -عز وجل- على وجه الإطلاق، بل مقيدة كما في قوله -تعالى-: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢]، وكقوله -تعالى-: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾.

سادسًا: تحذير الكافرين من الاستمرار في كفرهم؛ لقوله -تعالى-: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ [محمد:١٠]، سير أقدام أو سير قلوب أو هما؟ وأيهما أعم؟ سير القلوب أعمُّ؛ لأن القلوب تصل في سيرها إلى ما لا تصل إليه الأقدام؛ ولأن سير القلوب يكون حتى في الماضي بخلاف سير الأقدام ﴿فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، يعني أفسد الله عليهم أمرهم ولم ينجحوا ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ يعني للكافرين الموجودين الآن أمثال ما كان للسابقين، الشاهد

قوله: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾ [محمد:١٠]، يعني: فاحذروا أيها الكفار أن يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء من التدمير، ولكن نقول:

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا ... وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي[1]

كما قال الله -عز وجل-: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ [النمل:٨٠-٨١].

سابعًا: إثبات رسالة النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، فإن أخبار الأمم السابقة لا يعلمها إلا الله -عز وجل- لقول الله -تعالى-: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ [هود:٤٩]، فإذا قص النبي -عليه الصلاة والسلام- قَصَصًا على الوجه المطابق، دل ذلك على أنه رسول الله؛ لأنه ﷺ كان أُمِّيًّا لا يقرأ، ولا يكتب، ولا يتلقى الأخبار، فإذا أتى بأخبار مَنْ سبق دل على أنه يُوحَى إليه، وأن هذا من الله، وكقوله -تعالى-: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [إبراهيم:٩]، فإذا تحدث النبيُّ -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- عنهم، عُلِم أن ذلك عن طريق الوحي.

فإن قال قائل: قوله -تعالى-: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء:١٦٣]، هل الزَّبُور كتابٌ أم اسمٌ لكتاب؟

الجواب: أصلُ الزُّبُر هي الكتب، فكل كتاب يسمى زبور، لكن قد يطلق هذا الاسم على شيء معين.

---

(١) البيت غير منسوب في الأمثال والحكم للرازي، وزهر الأكم (٢/ ٢٤٩) لليوسي، وذكره الدميري في حياة الحيوان الكبرى (٢/ ١٠٤).

تِكْرَارُ الْقَصَصِ

من القصص القرآنية ما لا يأتي إلا مرة واحدة، مثل قصة لقمان، وأصحاب الكهف، ومنها ما يأتي متكررًا حسب ما تدعو إليه الحاجة، وتقتضيه المصلحة، ولا يكون هذا المتكرر على وجه واحد، بل يختلف في الطول والقِصَر واللين والشدة، وذكر بعض جوانب القصة في موضع دون آخر.

الشرح

أي: أن تكرار القصص في القرآن ليس على سبيل التكرار الذي لا فائدة منه، بل فيه فائدة، لكن القَصَص كما قالوا: قِسْمٌ لا يتكرَّر كقصة لقمان، وأصحاب الكهف، ومنها ما يتكرر حسب ما تدعو الحاجة إليه، والذي يأتي متكررًا لا يمكن أن يأتي بصيغة واحدة في كل المواقع أبدًا، بل لا بد أن يختلف.

فمثلًا في سور الأعراف: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ ﴾ [الأعراف:١٠٩]، وفي سورة الشعراء: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ ﴾ [الشعراء:٣٤]، في القصة الأولى ذكر قول أصحاب فرعون، وفي الثانية ذكر قول فرعون؛ لأن فرعون قال وصدَّقه هؤلاء، وأخذوا يطنطنون ويدندنون بقوله، فصار القائل الأول: فرعون ثم تابعه جنوده.

فأنت ترى هذه القصص المكررة تختلف بحسب ما تدعو إليه الحاجة، ولهذا كان أكثر القصص تكرارًا قصة موسى؛ لأن الحاجة تدعو إلى ذلك؛ لأن اليهود كانوا موجودين في المدينة، وقريبين من قريش، وكذلك النصارى

في نجران، وغيرها، لذلك تكررت قصة موسى وعيسى -عليهما السلام- أكثر من غيرهما، حسب ما تدعوا الحاجة إليه، وتقتضيه المصلحة.

ومع هذا لا يكون هذا التكرار على وجه واحد، بل يختلف في الطول، والقصر، واللين، والشدة، وذِكْرِ بعض جوانب القصة في موضع دون آخر، وإن وُجِدَ نادرًا جدًّا أن تأتي الآيةُ هي نفس الآية الأولى، فهذا قليل جدًا.

فمثلًا: نجد من أقصر القصص، وأشدها ما جاء في سورة القمر، فإن القصص قصيرةٌ جدًّا، لكن فيها قوارع عظيمة، تختم كل واحدة منها ﴿**فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**﴾ [القمر:١٥]، فالذي يقرأ هذه السُّورةَ بتدبر لا بد أن يتأثر؛ لأنها عظيمة.

***

ومن الحكمة في هذا التكرار؟

١- بيانُ أهمية تلك القصة؛ لأن تكرارها يدل على العناية بها.

٢- توكيد تلك القصة؛ لتثبت في قلوب الناس.

٣- مراعاة الزمن وحال المخاطبين بها؛ ولهذا تجد الإيجاز والشدة غالبًا فيما أتى من القصص في السُّوَر المكية، والعكس فيما أتى في السُّوَر المدنية.

٤- بيان بلاغة القرآن؛ في ظهور هذه القصص على هذا الوجه، وذاك الوجه على ما تقتضيه الحال.

٥- ظهور صدق القرآن؛ وأنه من عند الله تعالى، حيثُ تأتي هذه القَصَصُ متنوعةً بدون تناقُضٍ.

الشرح

وهذه من الحِكم، وهي:

أولًا وثانيًا: بيان أهمية تلك القصة، ولذلك يكررها الله -عز وجل- اعتناء بها، وتثبيتًا، وترسيخا.

ثالثًا: مراعاة الزمن، وحال المخاطبين بها، ولهذا تجد الإيجاز، والشدة غالبًا فيما أتى من القَصَصِ في السُّوَر المكية، والعكس فيما أتى من السور المدنية، وهذا من بلاغة القرآن، ومراعاة حال المخاطب، وهذه من أعلى أنواع البلاغة.

رابعًا: بيان بلاغة القرآن في ظهور هذه القصص على هذا الوجه، وذاك الوجه على ما تقتضيه الحال؛ لأن مطابقةَ الكلام لمقتضى الحال هو البلاغة في الحقيقة.

خامسًا: ظهور صدق القرآن، وأنه من عند الله، حيث تأتي هذه القصص متنوعةً بدون تناقض، فإن هذا يدل على صدق القرآن، ويدل أيضًا من وجه آخر، كونها تأتي على وجوه متعددة، مما يدل على صدق القرآن، وأن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يتلوه على الناس كما ورد، وتعلمون أن الكاذب يحاول أن يُخْفِيَ كذبه بكل طريق، فيحاول أن يكون كلامه الثاني مثل الأول، حتى لا يقول الناس: إنك كاذب، حدثتنا في الأول على وجه كذا والثاني على وجه كذا، فإذا جاءت القصص فيها نوعٌ من التغاير، مع ثبوت النبي ﷺ وبيانها للناس، دلَّ على أنه صادق -عليه الصلاة والسلام-.

فإن قال قائل: قلتم أن مجيء القصص متنوعةً لا تعارض بينها، لكن نجد بعضها يعارض البعض في الظاهر، مثل: قصة موسى مع فرعون، فإنه في بعض الآيات قال فرعون: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف:١٠٩]، وفي بعض الآيات ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف:١٠٩] فكيف الجمع؟

قلنا: الجمع سهلٌ جدًا، فنسبة هذا القول إلى قومه وإليه لا تعارض بينهما، فهو يقول ذلك أولًا، ثم يتبعه قومه، وهذا ليس فيه غرابة، كذلك ﴿لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس:٢]، و﴿لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف:١٠٩] لأن الساحر العليم يلزم من علمه أن يُبَيِّن، وتعلمون أن الأمر ليس كلمة واحدة، قد يكون قال: (ساحرٌ عليم) في وقت، وقال: (ساحرٌ مبين) في وقت آخر، فالإنسان الذكيُّ يستطيع أن يجمع بين ما ظاهره التعارض في القصة الواحدة.

وما الفرق بين القَصص والقِصص؟

الجواب: القَصص بالفتح مصدر، والقِصص بالكسر جمع قصة.

وهل تجوز كتابة القصص الخيالية؟

الجواب: إن كانت هذه القصص ليس لها أصل، كأن تكون لغوًا، أو كانت مكذوبة على شخص معيَّن فهذا لا يجوز؛ لأنه كذب، وإن كانت هادفةً وفيها مصلحةٌ كأن يُصَوِّر حالةً من الأحوال تدعو إلى الأخلاق أو الآداب فهذا لا بأس به.

* * *

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الإسرائيليات

١- موقف العلماء من الإسرائيليات.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الإسـرائيليـات

الإسرائيليات: الأخبار المنقولة عن بني إسرائيل من اليهود وهو الأكثر، أو من النصارى.

وتنقسم هذه الأخبار إلى ثلاثة أنواع:

الأول: ما أقره الإسلام، وشهد بصدقه فهو حق.

مثاله: ما رواه البخاري وغيره عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: جاء حَبْرٌ من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحَبْر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧][1].

الشـرح

الإسرائيليات منسوبة إلى إسرائيل، وإسرائيل -عليه الصلاة والسلام- أحد الأنبياء، لكن سُمِّي ما ينقله بنو إسرائيل إسرائيليًّا من باب النسبة إلى

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ...﴾، رقم (٤٨١١)، ومسلم: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب صفة القيامة والجنة والنار، رقم (٢٧٨٦).

المضاف إليه لا إلى المضاف، وقد ذكر علماء النحو إن النسبة إلى المضاف والمضاف إليه تكون إما لهما مركبين، وإما للأول إذا كان أشهر وإما للثاني.

والإسرائيليات «الأخبار المنقولة عن بني إسرائيل من اليهود وهو الأكثر، أو من النصارى»؛ لأن النصارى من بني إسرائيل؛ لقوله -تعالى-: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الصف:٦]، فما نُقِل عن بني إسرائيل فهو إسرائيلي.

والإسرائيليات من القصص التي يجب الحذر منها، خصوصًا إذا كانت تتضمن عَيْبًا، أو لمزًا لأحدٍ من الأنبياء، مثل: قصة سليمان، وقصة داود -عليهما السلام-، وما أشبه ذلك.

والإسرائيليات تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

الأول: ما أقره الإسلام، وشهد بصدقه؛ فهذا حق؛ لأنه عن بني إسرائيل.

ودليله: ما رواه البخاري وغيرُه عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: **جاء حبرٌ من الأحبار إلى رسول الله فقال: يا محمد، إنَّا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع. ثم ضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه**؛ تصديقًا لقول الحبر، وليس تعجبًا منه وإنكارًا له، كما زعمه أهل التحريف الذين يقولون: إن الله ليس له أصابع -والعياذ بالله-، ويقولون: إن الرسول ﷺ إنما ضحك تعجبًا، وإنكارًا، فيقال لهم: أأنتم أعلم أم الصحابة؟ وابن مسعود -رضي الله عنه- من فقهاء الصحابة، ومن أجِلَّائِهِم، ومع ذلك قال: إنه ضحك؛ تصديقًا لقول الحبر، وهذه مسألة عظيمة، لو كان هذا أمرًا منكرًا،

ما اقتصر الرسولُ ﷺ على مجرد الضحك الذي يحتمل أن يكون تصديقًا، أو يحتمل إن قيل به: أن يكون إنكارًا.

ولو كان منكرًا؛ لأنكره صراحة، ثم قرأ الرسول -عليه الصلاة والسلام- مقررًا لهذا: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]، أي ما عُظِّمَ الله حق تعظيمه، مع أنه -عز وجل- في هذه العظمة العظيمة، والأرض جميعها كلها قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه كما قال الله -تعالى-: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤].

وهنا فائدة في قوله: «إصبع» فيه عشر لغات، ولهذا لا يُخطئ فيه أحد من الناحية الصرفية؛ لأنها مثلثة الهمزة والباء، والصاد ساكنة على كل حال، اللهم إذا كان من الناحية الإعرابية، وقد قال الناظم[1]:

وَهَمْـزَ أُنْمُلَـةٍ ثَلِّـثْ وَثَالِثَـهُ ... وَالتِّسْعُ فِي أُصْبُعٍ وَاخْتِمْ بِأُصْبُوعِ

***

(١) البيت غير منسوب في تاج العروس (٣١/ ٤١).

الثاني: ما أنكره الإسلام وشهد بكذبه فهو باطل.

مثاله: ما رواه البخاري عن جابر -رضي الله عنه- قال: كانت اليهود تقول: إذا جامع الرجل زوجته من ورائها، جاء الولد أحول؛ فنزلت: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة:٢٢٣][(١)].

الشــرح

وهذا الثاني عكسُ الأول.

مثاله: ما رواه البخاري عن جابر -رضي الله عنه- قال: كانت اليهود تقول: إذا جامعَ الرجلُ امرأتَه من ورائها جاء الولد أحولَ، فنزلت ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾؛ لأن اليهود يَرَوْنَ أن الولد لا يجيء سالمًا إلا إذا جامعها من الفرج، أي: القُبل، فأنزل الله تكذيبهم: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾، وفي هذه الآية إشارةٌ إلى أن المأذونَ فيه لا يمكن أن يحدث شرًا، وهذه قاعدة تفيد طالب العلم، أنه لا يمكن أن يُحِلَّ اللهُ لعباده ما يضرهم.

مثال ذلك: ما جاء في الحديث الموضوع المكذوب على رسول الله ﷺ: «**أن لحم البقر داءٌ، ولبنها شفاء**»[(٢)]؛ لأنه لا يمكن أن يكون لحمها داء، وقد أحلَّه الله لنا، وعليه نأخذ من هذه الآية: أن الله لما أباح لنا أن نأتي حرثنا من حيث شئنا، دل ذلك على أن وطء المرأة في قبلها من خلفها جائز.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ...﴾، رقم (٤٥٢٨)، ومسلم: كتاب النكاح، باب جواز جماعه امرأته في قبلها، من قدامها أو من ورائها، من غير تعرض للدبر، رقم (١٤٥٣).

(٢) كنز العمال (٢٨٤٧٢)، والبيهقي في الشعب (٥/ ١٠٣، رقم ٥٩٥٢).

الثالث: ما لم يقره الإسلام، ولم ينكره، فيجب التوقف فيه.

لما رواه البخاري[١] عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [العنكبوت:٤٦] الآية، ولكن التحدث بهذا النوع جائز، إذا لم يخش محذور؛ لقول النبي ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مِقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» رواه البخاري[٢].

الشـرح

هذا الثالث هو الميدان الفسيح لناقل الإسرائيليات، ما لم يرد في شرعنا تصديقُه ولا تكذيبُه، فهذا يجب التوقف فيه، فلا نصدق، ولا نكذب؛ لأننا: إن صدقناهم وهو باطل، فقد صدقنا باطلًا، وإن كذبناهم وهو حق، فقد كذبنا حقًا، فالواجب التوقف.

ودليل ذلك حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: «**كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام**»، فالعبرانية لغة اليهود، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «وهي قريبة من اللغة العربية»[٣]، واستدل بذلك «**أن النبي ﷺ أمر زيد بن ثابت أن يتعلم لغة اليهود فتعلمها في أيام قليلة نحو ستة عشر يومًا**»، فدلَّ ذلك على أنها

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ...﴾، رقم (٤٤٨٥).
(٢) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم (٣٤٦١).
(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٩٥).

سهلة فقال: رسول الله ﷺ: «**لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَلَكِنْ قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ**»(١).

وإذا كنا لا نصدق ولا نكذب، فهذا يعني: هذا أننا نتوقف، ولكن التحدث بهذا النوع، الذي لم يرد الشرع بإنكاره ولا إثباته جائز، بشرط ألا يُخشى محذور؛ لقول النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مِقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»، رواه البخاري.

فالمحذور الذي يُخشى منه أن يتجه الناس إلى هذه القصص، ويَدَعُوا ما جاء في القرآن والسنة، فإذا أتينا بهذه الإسرائيليات التي ليس بشرعنا تصديقها ولا تكذيبها انهمك الناس بها، وترك الناسُ ما في القرآن من المواعظ، ففي هذه الحال يجب ألا ننقلها إلى الناس، وألا نتحدث بها؛ لأن كل شيء يُفضي إلى الإعراض عن الكتاب والسُّنَّة فإنه محرم.

***

وغالبُ ما يُروى عنهم من ذلك، ليس بذي فائدة في الدِّين؛ كتعيين لون كلب أصحاب الكهف ونحوه.

الشـرح

وأكثر ما يُروى عن الإسرائيليين ليس فيه فائدة، مثل: قولهم في كلب أصحاب الكهف، ما لونه، ويقولون في طعام الذي أماته الله مئة عام: هذا

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾، رقم (٤٤٨٥).

الطعام هل هو حنطة أو عنب أو تمر؟ وما أشبه ذلك؛ لأن هذا ليس فيه فائدة كبيرة، لذلك أكثر ما يُروى عنهم هو هذا الذي لا فائدة فيه.

* * *

وأما سؤال أهل الكتاب عن شيء من أمور الدِّين، فإنه حرام؛ لما رواه الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ؛ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ، وَقَدْ ضَلُّوا، فَإِنَّكُمْ إِمَّا أَنْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ، أَوْ تُكَذِّبُوا بِحَقٍّ، وَإِنَّهُ لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتْبَعَنِي»(١).

وروى البخاري(٢) عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أَنْزَلَ اللهُ على نبيكم ﷺ أحدث الأخبار بالله محضًا، لم يُشَبْ، وقد حدَّثكم الله أن أهل الكتاب قد بدَّلوا من كتاب الله، وغيروا، فكتبوا بأيديهم، قالوا: هو مِنْ عند الله؛ ليشتروا بذلك ثمنا قليلا، أَوَلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ فلا والله رأينا رجلًا منهم يسألكم عن الذي أُنْزِل إليكم.

الشــرح

رضي الله عنهم، هذا كلامٌ جيد جزل، وبه نعرف أن ما يذكره علماء مصطلح الحديث أن ابنَ عبَّاسٍ ممن عُرِف بالأخذ عن بني إسرائيل، أنه

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٣٨، ٣٨٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الشهادات، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها، رقم (٢٦٨٥)، و(٦٩٢٩).